# هـــو

بقلم ع . ا

أعرفه منذ طفولته كان وهو صغير يعيش فى جو من العاطفة والخيال ، يهب من نومه كل يوم قبل الشروق فينطلق فى نشاط وخفة ليلقى على النيل أول نظرة إلى الحياة التى أخذت تستيقظ من سباتها وما يبرح يتملى هذا المنظر المشرق البهيج فى نشوة وسحر حتى يغمر الدنيا ضياء الشمس .

وكان يقف أمام النور والزهر مأخوذا خاشعاً كما يقف النساك فى صوامعهم خاشعين .

وكان للجمال والحب أكبر سلطان على نفسه حتى لقد خفق قلبه حبا ولم يعد العاشرة من عمره ، وأخفق فى حبه مرات عدة وامتحن فى جميعها امتحاناً قاسيا ولكن ذلك لم يصرفه عن أن يرى الجمال والحب أنفس ما فى الحياة .

وكان ألوفا كثير الاطمئنان إلى الناس يؤمن بأن خيرهم أكثر وصدقهم أغلب والصراحة فيهم أشمل . وكان هذا الاطمئنان إليهم يصرفه عن التنقيب والبحث عن عيوبهم فيمتزج بهم دون توق أو حذر . لا يأبى أى صداقة يأتى بها الغد ويحسبها فوزاً وربحاً . وكان شديد الايمان بالفضائل . يجد فى هذا الايمان بهاراحة ولذة ويوقن أنها أكبر وسيلة للنجاح فى الحياة . فالصدق والصراحة والوفاء والاخلاص والعطف صفات كان شديد الاستمساك بها فى الجليل والحقير من شئون حياته .

وكان يستمد معرفته بالحياة من الكتب قوى الاقتناع بما انبث فيها من نظريات وآراء حتى ليناضل عنها نضالا شديداً كأنها نتاج بحثه وثمار تجربته ، وقد صرفه هذا عن أن يسير بنفسه فى حناياها متعرفا حقائقها التى تخفى وراء كثير من نفاق أبنائها وزورهم .

وعلى أنه ذو مزاج حاد ، ولم يبلغ ما كان يقدر له خياله من أمانى - لم يرقط عابسا ولا متشائما ولا قانطا متبرما بحياته .

واحزناه . ما أضعف هذا الانسان ، وما أبلغ هزيمته حين يصطدم بالحوادث! إن حادثة واحدة من الحوادث التى يزخر بها نهر الحياة كانت كافية لأن تجعل منه خلقاً آخر وأن تبدله تبديلا يتناول عناصر روحه ، فقد أصبح عزوفا عن مظاهر الجمال فى الحياة ينظر اليها ببلادة واشمئزاز ، وأصبحت عاطفة الحب عنده لا تعنى إلا الحماقة والضعف ، وانقلب يعد الشعراء الذين تغنوا بها فى أشعارهم حمقى ومجرمين بما بذروه فى النفوس من بذورها الخبيثة .

وانتهى إلى النفور من الناس والإمعان فى البعد عنهم والحذر كل الحذر من أقوالهم وأعمالهم وحركاتهم . وآمن مع شوقى بما قال :

ولو صُوِّروا من نواحى الطباع تو الوا عليك سباع الصور

واستحال إيمانه بالفضائل باعتبارها وسيلة للنجاح ريبة وشكا وأيقن أن كثيرا من الرذائل كالكذب والغش وخبث الطوية والقسوة أبلغ فى الوصول إلى مايعده الناس نجاحا وظفرا وأن على من يتمسك بالخير أن يكون على استعداد لكثير من الخيبة والفشل وأن يروض نفسه على القناعة بالخير لذاته .

ثم انقطعت صلته بالكتب كما يقطع المرء صلته بالصديق يخذله فى أحرج مواقفه .

وكذلك ارتد يؤوساً قانطاً لايستطيع شىء فى الحياة أن ينزع حجاب نفسه.

حقا إن الإنسان لضعيف خوّار وإن فيه لبلادة مخزية أمام صروف الحياة ، وحقا إن موقف العلم فى هذا لشاذ بل شائن . فقد منح كل عنايته لعلاج الجسم دون علاج الروح فأزاح الحجاب عن كل علة تنتابه وجهد أن يضع لكل داء دواء ووفق فى كل هذا توفيقاً بالغا ، ولكنه ترك مرضى الأرواح يجاهدون آلامهم فى قنوط ويأس كما يترك الجبناء رفاقهم مثخنين بجراحهم فى ساحات القتال ، وإنه لحق أيضاً أن الزمن يضع مراهم لجراحهم فلا تظل تقطر دما ولكن ما أعجز الزمن عن أن يرد بشاشة مفقودة أو بهجة مسلوبه .

ع . ا

مدرس بالمدارس الثانوية